الإلهام الفني والإبداعي للآيات القرآنية

في فكر الخطاط العربي

Artistic and creative inspiration for Quranic verses

In the thought of Arabic calligrapher

طالب الدكتوراه :[1]رضا خوشي، الدكتور: عاشور مزيلخ

1- جامعة الجزائر 3 - كلية الخروبة - (الجزائر) إيميل الطالب: **redhakhouchi1@gmail.com**

2 - جامعة الجزائر 3 - كلية الخروبة- (الجزائر) إيميل المشرف: **mezilak@gmail.com**

تاريخ الاستلام: **2020/08/01** تاريخ القبول: **2022/12/25** تاريخ النشر: **2022/12/28**

ملخص:

تعتبر كتابة القرآن الكريم أحد أهم القضايا التي تناولتها الدراسات والأبحاث الإسلامية والغربية على حد سواء خاصة الاستشراقية منها، ذلك أن القلم المصحفي ونعني به الخط الذي كتب به القرآن الكريم، أحد أركان تلك الكتابة، والذي عمم بعد ذلك ليخط الأدب العربي بكل فنونه، ويطلق عليه الخط العربي بدلا من القلم المصحفي. ولقد شهد هذا القلم تطورا كبيرا عبر مسيرته التاريخية، منذ بدايته في عهد النبوة مرورا بمختلف العصور الإسلامية. من هنا جاء هذا البحث ليقف على أهم محطات تلك المسيرة، مبرزا الإلهام الذي استوحاه الخطاطون من آيات القرآن الكريم، فراحت أناملهم تبدع أجمل اللوحات، سطورا في تلك الآيات أو مراسيم سلطانية أو رسائل عامة أو دواوين شعر أو مؤلفات أدبية، وختام كل ذلك وأمنية كل خطاط كتابة مصحف كامل. كما يظهر البحث أهم العوامل التي ساعدت على ذلك التطور، ومبينا الاهتمام المنقطع النظير الذي أولاه المسلمون لهذا القلم الذي خط أقدس كتاب عندهم، مدعما كل ذلك بصور نادرة لأهم ما خطته أنامل الخطاطين من مصاحف بهذا القلم.

الكلمات المفتاحية: القلم ؛ الخط ؛ الكتابة ؛ المصاحف ؛ الخطاط

[1] رضا خوشي، إيميل:redhakhouchi1@gmail.com

Abstract:

The writing of the Holy Quran is one of the most important issues dealt with in both Islamic and Western studies and researches, especially Orientalism. And the pen of koran and the meaning of the line written by the Holy Quran, one of the pillars of that writing. This pen has witnessed a great development through its historical journey, from its inception in the era of prophecy through the various Islamic ages. From this point came this research to stand on the most important stations of this march, highlighting the most important factors that helped in that development, and demonstrated the unprecedented attention given by Muslims to this pen, the line of the most sacred book, supported by all rare images of the most important plan of the calligraphers of the Koran of this pen The debugge.

Keywords : The Koran ; the pens ; the calligraphy ; the calligrapher

المقدمة:

ورث العرب الخط عن الأنباط على صورته المربعة الأولى، التي تطورت فيما بعد وأعطت الخط الكوفي المعروف. ولجأ العرب بعد ظهور الإسلام فيهم، واختصاصهم بكتاب مقدس . القرآن الكريم . إلى كتابته خوفا عليه من الضياع أو التحريف بعد وفاة الكثير من حفظته، والاختلاف في قراءته. فكتب المصحف وجمع بأمر من الخليفة الراشد عثمان بن عفان .رضي الله عنه .وأرسل نسخا منه إلى الأمصار، وأمسك واحدا عنده أطلق عليه المصحف الإمام. ثم بدأت التغييرات تطرأ على خط المصحف، وذلك بإدخال النقط والشكل عليه أولا؛ لمحاربة اللحن فيه، وبعد ذلك اهتم المسلمون وخلفاؤهم بتزيين الخط وتجميله، انطلاقا من مبدأ إكرام المصحف وتعظيمه. فظهر الخطاطون والنساخون للمصاحف وامتهنوا كتابتها، فكان ذلك تحولا لبداية استقلال الخط العربي كفن قائم بذاته له أصوله ومدارسه، ولم يعد يقتصر على كتابة المصاحف بل تعداه إلى الزخرفة والمراسيم السلطانية والمؤلفات. فنبغ منهم عظام خطوا بأناملهم لوحات بديعة ومصاحف خالدة بقيت عبر التاريخ تجلب وتخطف بصر كل من أمعن فيها النظر.

فلا جرم إن قلنا إن الدافع الحقيقي لتطور الخط العربي حتى استوى على سوقه يعجب العارفين ويدهش الناظرين بهذا الفن شرقا وغربا؛ هو كتابة المصاحف وما سمي بالقلم المصحفي. فما هي الصورة

الأولى للمصاحف التي كتبت في صدر الإسلام ؟ وما هي أهم المحطات التي مر بها القلم المصحفي خلال مسيرته التاريخية ؟ وكيف استقل الخط العربي عن هذا القلم ؟ ومشاهير الخطاطين الذين استلهموا من هذا القلم ما جادت به أناملهم وأبدعت من لوحات جميلة خلدت لمستهم الفنية في كتابة المصاحف ومختلف الميادين الأدبية التي تعتمد الخط العربي ؟ وما هي أهم النماذج من المصاحف التي خطت به ؟

وللإحاطة بكل ذلك اتبعنا المنهج التاريخي الملائم لسرد الأحداث وإثبات حدوثها وتحليلها، وكذا المنهج الوصفي لوصف الخطوط واللوحات الخطية الفنية خاصة الأقلام التي رسمت الآيات القرآنية.

1 .ظهور القلم المصحفي في صدر الإسلام:

إن القلم المصحفي هو الذي خص النبي به كتابة القرآن الكريم بأمر منه، أو ما سمي لاحقا بالرسم العثماني أو هجاء المصحف. ولقد تداول على الخط بهذا القلم أنامل رجال تأهلوا لذلك سواء من حيث معرفتهم بأصول الخط العربي على صورته الأولى البدائية ونعني بهم كتبة الوحي من الصحابة، أو الذين نبغوا في الخط العربي بما وهب الله تعالى لهم من حسن وجمال خطوطهم.

1.1 عهد النبوة:

بدأت كتابة الوحي منذ بداية نزوله، فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه شيء من القرآن الكريم، آيات كانت أو سورا كاملة، يستدعي كل عرف بالكتابة من الصحابة ليكتبها بعدما يعين النبي صلى الله عليه وسلم له موضعها. فقد اتخذ الرسول في مكة كتابا معينين لهذه المهمة الحساسة والجليلة في نفس الوقت، بلغ عددهم اثني وأربعين كاتبا، وهم خليط من المكيين الذين اشتهر عنهم الخط المكي، وانضم إليهم من المدنيين الذين كتبوا بالخط المدني؛ ولذا اختلفت الظواهر الإملائية فيما كتب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم. (سهيلة، 1962م، صفحة 273)فأول من كتب للنبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي السرح، الذي ارتد بعد ذلك عن الدين، فأباح النبي دمه، وأسلم يوم الفتح، وقبل النبي صلى الله عليه وسلم توبته بشفاعة أخيه من الرضاعة عثمان بن عفان رضي الله عنه. كما ولي كتابة الوحي أيضا ممن عرفوا بذلك الخلفاء الراشدين ومعاوية ويزيد ابنا أبي سفيان وطلحة بن عبيد الله (سهيلة، 1962م، صفحة 34) . ولكن لا نجد الإشارات التي تتحدث عن الكتابة في العهد المكي مع أن أكثر ما كتب من القرآن الكريم كان في مكة؛ لأن أكثره نزل بها، ولا عن مصيرها خلال الهجرة ؟ وهل حمل ما كتبت فيه من العظام والحجارة واللخاف إلى المدينة ؟ وكيف ؟

وبعد الهجرة إلى المدينة دخل القلم المدني بقواعده الخاصة التي تفرق عن القلم المكي، ليترك بصمته في كتابة المصحف لا تزال جلية إلى يومنا. وتشير البحوث والدراسات أن المدرسة المدنية سبقت المكية في الظهور؛ حيث أن الأوس والخزرج عرفوا الكتابة قبل قريش؛ إذ إن أصول القبيلتين يمنية، واليمن بلد الخط العربي الأول، الذي يسمى بالمسند، وقريش تعلمت خط الجزم من الأنبار الذين اقتطعوه من خط

المسند اليمني (عثمان، 2009م، صفحة 10) . واشتهر من كتاب الأنصار زيد بن ثابت الذي كان يكتب بالعربية والعبرانية والسريانية، وسعيد بن زرارة، وأبي بن كعب، وعبادة بن الصامت، وأسد بن حضير، ونافع بن رافع. (أحمد، 1990م، صفحة 273) أما القلم المصحفي الذي كتب به المصحف في الصدر الأول فهو الخط المقور أو اللين، والذي سمي بعد ذلك بالنسخي، كما كتبوا أيضا بخط الجزم. وكلها تعود للقلم النبطي الذي تطور فيما بعد ليسمى القلم الكوفي. (محمد طاهر، 1939م، صفحة 66)

1.2 عهد الخلفاء الراشدين:

وفي خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه استحر القتل بقراء القرآن الكريم في موقع اليمامة، فقرر الخليفة كتب القرآن في الصحف، وجمعه مما كتب فيه من الجلود والحجارة واللخاف وجريد النخل. واختص زيد بن ثابت دون سائر الصحابة لهذه المهمة الجليلة؛ نظرا لصغر سنه، وحضوره للعرضة الأخيرة، وأخذه للقرآن كتابة وحفظا، حيث اعتبر كاتب النبي صلى الله عليه وسلم بلا منازع . (عثمان، 2009م، صفحة 6) فكتب زيد الصحف بالخط المدني المزوي المستدير (النسخي) (سهيلة، 1962م، صفحة 34)؛ فلا ريب لو قلنا إن الخط الأول الذي كتبت به الصحف كان الخط النبطي الرديء الذي تطور فيما بعد إلى الخط الكوفي.

ولما ولي عثمان بن عفان رضي الله عنه الخلافة جمع الصحف في مصحف واحد. وذكرت سهيلة الجبوري " مو أول استخدام الكتابة العربية بأصولها الأولى التي احتفظت بالرسم النبطي في كثير من صور الكلمات ". (سهيلة، 1962م، صفحة 34) ، ولكن الخط الذي كتبت به المصاحف التي استنسخت منه كان الخط المكي القرشي، وذلك بأمر من الخليفة الذي شكل اللجنة التي تولت كتابة المصحف، وضمت زيد بن ثابت المدني ونفرا من قريش، وأمرهم أن يكتبوا المصحف على لغة قريش، وإسقاط ما دونها من اللغات. والخط المكي يتميز بأنه يكتب على اللفظ والمعنى، فعادت الظواهر الإملائية التي لا تزال تطبع المصاحف إلى يومنا. (عبد الغني، 2009م، صفحة 66)

وتم إرسال المصاحف إلى الأقطار بأمر من الخليفة عثمان مع اختلاف في عددها، تنافس الناس في استنساخها وتزيينها وتنميقها، وتغيير مواضع الحروف في خطها الأول، واتخذ نساخ كل بلد أسلوبا خاصا في كتابتها، ومنها عرف كل أسلوب باسم خاص من أسماء الخطوط، كالوراقي بالنسبة للمدينة، والمدور للبصرة، والثلث للكوفة، والتئم لبلاد فارس، وخط المشق، والتجاويد، والمائل، وغيرها مما هو مبسوط في كتب هذا الفن. (زين الدين، 1972م، صفحة 300)

2 انتشار الخط العربي في العهد الأموي:

لما أقام الأمويون خلافتهم وشدوا قبضتهم عليها، اهتموا بالعلوم والفنون، وأخذ الخط نصيبه من هذا الاهتمام. فاشتغل به خلق كثير، وعلى أيديهم ارتقى الخط وسما عما كان عليه من قبل. قالت سهيلة الجبوري: " فبرع منهم أكتب زمانه قطبة المحرر، الذي يعتبر أول من خرج عن الخط الكوفي واخترع قلمي الجليل والطومار، كما واشتهر خالد بن الهياج بكتابة المصاحف. (سهيلة، 1962م، صفحة 36) ، وقال الدكتور فاروق سعد: " ويعتبر أول من أجاد كتابتها، وقد ولي الكتابة للوليد بن عبد الملك يكتب له المصاحف والأشعار، وإليه ينسب له كتابة المحراب النبوي بالمدينة المنورة بالذهب. وبعده في أواخر الخلافة الأموية اشتهر مالك بن دينار (ت 130 هـ) بكتابة المصاحف وكان يتخذها حرفة يعيش منها". (عبد الرحمن، 1997م، صفحة 207) . كما برز بعد ذلك الكثير من الخطاطين الذين خلفوا في عقبهم مصاحف تشهد لهم بمدى براعتهم في الكتابة، ودورهم الرائد في جعل الخط العربي علامة دالة على الحضارة الإسلامية في العهد الأموي، حتى اصطبغت به جدران المساجد والقصور الملكية. (ابن النديم، 1978م، صفحة 14)

وفي هذه المرحلة وبعد تهافت الناس على اقتناء المصاحف، ونشاط حركة الاستنساخ، بدأ القلم المصحفي يتنوع بتنوع الخطوط التي ابتدعت، واكتست المصاحف حلة جميلة بخطوط بديعة. ولقد عدد ابن النديم أنواع قلم المصاحف " وهي: المكي، المدني، التئم، المثلث، المدور، الكوفي، البصري، المشق، التجاويد، السلوطي، المصنوع، المائل، الراصف، الأصفهاني، السجلي، القيراموز". (ابن النديم، 1978م، صفحة 15) وقال فاروق سعد: " ولا شك أن خطوط المصاحف في العهد الراشدي والأموي كانت بالقلمين المكي والمدني، ولكن انحصر في شبه الجزيرة العربية، بينما انتشر القلم البصري والكوفي بالعراق، واشتهرت بلاد الشام بقلم الجليل والمشق والمائل". (عبد الرحمن، 1997م، الصفحات 206 - 207)

ويعتبر الخط الذي ذاع وانتشر في الكوفة في النصف الأول من القرن الأول الهجري، هو الخط الذي ساد في كتابة المصاحف، وهو امتداد للخط النبطي الدائري، ومنه اشتقت الأقلام؛ فهو أقدم عهدا من بناء الكوفة المعروف أنها شيدت بين 8 و20 للهجرة وكان على ثلاث صور. (سهيلة، 1962م، صفحة 43)

_ الأولى: الخط الكوفي التذكاري.

_ الثانية: خط التحرير المخفف.

_ الثالثة: خط المصاحف، وهو مزج بين الصورتين الأولين.

فالكوفة أدخلت التحسينات والجمالية على الخط النبطي، وأبدعت في تشكيله حتى نسب إليها. قال إبراهيم جمعة: " الصواب في هذه المسألة أن الكوفة جودت الصورة اليابسة من صور الخط النبطي وأبدعت فيه حتى عرفت به ". (جمعة، 1947م، صفحة 27) . وذكر أبو حيان التوحيدي أن عمل الخطاطين في العهد الأموي أثمر

بوضع قواعد الخط الكوفي بكل أنواعه، وجمعت في اثنتي عشرة قاعدة تبعا لقواعد كل خط بما اختص به كل مصر، ومنه: المكي، والمدني، والأندلسي، والشامي، والريحاني، والمجرد، والمصري. (التوحيدي، ب ت، الصفحات 30-29)

2.1 نقط القلم المصحفي:

كان العرب بما أنعم الله تعالى عليهم من فصاحة فطرية وبلاغة غريزية يكتبون ويقرؤون دون أن يلحنوا، فلم يكونوا في حاجة إلى ما يميز لهم بين الحروف المتشابهة في التصوير كالسين والشين والطاء والظاء، فهم يفهمون المعنى من السياق. فلما توسعت الفتوحات لتشمل بلاد العجم خارج شبه الجزيرة العربية، فشا اللحن وفسد اللسان العربي بفعل الاحتكاك والامتزاج. وخوفا على لغة القرآن الكريم من الضياع قيض الله تعالى من يصون اللغة، فوضع أبو الأسود الدؤلي (ت 67 هـ) علم النحو بأمر من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه. ثم انتقل اللحن إلى القرآن الكريم الذي كان مجردا من الشكل والإعجام، فلجأ والي العراق زياد بن سمية مرة أخرى إلى الدؤلي ليجد لهم حلا لهذه المعضلة، فاستطاع بذكائه أن يضع للناس طريقة بارعة تخلصهم من اللحن إلى حين، سميت بالنقط. (سهيلة، 1962م، الصفحات 12-11)

فطبق أبو الأسود طريقة النقط أولا على المصاحف، فنقط المصحف من أوله إلى آخره محافظا على رسم الحروف ظاهرة بالحبر الأسود، ووضع النقط بلون مغاير؛ ليميزه عن الرسم. قال طاهر الكردي: " لاقى هذا النقط استحسانا عند البعض ورفضا عند آخرين، متوجسين من فكرة طرو الأيادي بالتحريف والعبث في كتاب الله تعالى. ولكن لما ظهرت مزايا هذا النقط وفائدته، وفشوه في الكتابات، وزوال ما كانوا يخشونه قبلوه، بل رأوه زاد الخط جمالا وبهاء. فقالوا: لكل شيء نور، ونور الخط العجم. . واقتصر النقط على المصاحف فقط؛ خوفا على إعرابه، وانتشر في عدد قليل من الكتب. فتزين القلم المصحفي بالحبر الأسود الدال على الحروف، والحبر الأحمر والأصفر والأخضر الدال على مختلف النقط من حركات وهمزات ووصل. فذاعت كتابة المصاحف بالنقط الجديد، وأقبل الناس عليها نسخا واقتناء". (محمد طاهر، 1939م، صفحة 65)

إلا أن نقط أبي الأسود لم يحل الأمر نهائيا، إذ إنه يشكل الحروف فقط، فظهرت مشكلة الحروف المتشابهة كالباء والتاء والثاء. فجاء الخليل الفراهيدي (ت 170 هـ) وابتدع طريقة أخرى في الشكل والإعجام، بحيث ترك النقط الأول فرقا بين الحروف المتشابهة، واستبدل نقاط الشكل بثمان علامات (ـُـِـْـّـٱـٰ) وهي: الضمة والفتحة والكسرة والسكون والشدة والهمزة والمدة والصلة. وكلها حروف وأشباه للحروف. واقتصرت طريقة الخليل على لون واحد؛ لزوال الالتباس، إلا أن هذا الشكل عم كتب الأدب والعلوم دون المصاحف؛ حيث لا يزال شبح الابتداع في الدين يخيم على كل فكرة أو طريقة تتعلق بالقرآن

الكريم . فقبلها أهل المشرق، وردها أهل الأندلس في أول الأمر، ثم ما فتئ أن وافقوهم، وبهذا اتحد الشكل المشرقي مع المغربي والأندلسي إلا بعض البقايا مما اختص به كل قطر، لا يزال ساري المفعول إلى يومنا (زين الدين، 1968 م، ص 207).

3 نشأة المدارس والأقلام الخطية في العراق في العهد العباسي:

3.1 نشأة المدارس الخطية:

أما العصر العباسي فقد شهد ثورة في الخط العربي لم يشهد لها مثيل، حيث بلغ الخط ذروته في البهاء والجمال والتنوع، وتعددت الأقلام حتى فاقت الخمسين قلما. وانعكس هذا الأمر على كتابة المصاحف، فنسخ الكثير منها، وخلد بجانبها كتابها الذين اعتبروا في هذا العصر رواد هذا الفن بلا منازع، وواضعو أسسه وقواعده الحديثة التي عليها الخط اليوم.

جاء في رسالة ابن الصائغ في الخط وبري القلم: " فكان أول من اشتهر بكتابة المصاحف وجودة الخط كاتبين من أهل الشام هما: الضحاك بن عجلان (ت 143 هـ) في زمن أبي العباس السفاح، وإسحاق بن حماد (ت154 هـ) زمن أبي جعفر المنصور وابنه المهدي، الذين انتهت إليهما الرياسة في هذا العصر". (عباس حمودة، 2000م، صفحة 107) فقد اعتبرا مدرستين تخرجا منها خلق كثير، أشهرهم الأخوين يوسف السجزي (ت 210 هـ) وإبراهيم الجزي (ت 200 هـ). فأخذ إبراهيم عن ابن حماد قلم الجليل الذي تكتب به المصاحف، واخترع منه قلما أخف سماه قلم الثلثين، ومنه اخترع قلم الثلث، وكان أكتب زمانه به. وأما أخوه يوسف فأخذ عن ابن حماد الجليل أيضا، ولكن ابتدع منه قلما أدق منه، نال إعجاب وزير الخليفة المأمون ذا الرياستين الفضل بن سهل، وأمر أن تخط به الأحكام السلطانية، وسماه قلم الرياسي. (الألوسي، 2008م، صفحة 65)

وعلى رأس المائة الثالثة انتهت جودة الخط وتحريره إلى أمير هذه الصناعة، ومبدعها على الإطلاق، ومجدد أسسها الوزير أبو علي محمد بن مقلة (ت 328 هـ). واشتهر ابن مقلة بقلم الدرج، حيث اخترع وهندس حروف الخطوط، وأجاد تحريرها، وأسس قواعد الخط ومنه انتشر الخط في أصقاع الأرض مشرقا ومغربا. وكان ابن مقلة وزيرا لثلاثة خلفاء من بني العباس وهم: المقتدر والقاهر والراضي. (نوري، 1986م، الصفحات 71-74) . قال ابن الصائغ: " وبعد وفاة ابن مقلة، برع في هذا الفن علي بن هلال المعروف بابن البواب (ت 423 هـ)، ا لذي أخذ الخط عن محمد بن السمسماني (ت 425 هـ) ومحمد بن أسدٍ (ت 410 هـ)، وهما من تلاميذ ابن مقلة ". (عبد الرحمن، 1997م، صفحة 95). وأكمل ابن البواب قواعد ابن مقلة التي تركها، وأتمها، واخترع جل الأقلام من التي أسسها ابن مقلة. ثم آلت هذه الصناعة إلى أمين الدين ياقوت النوري الملقب بـ ياقوت المستعصمي (ت 698 هـ)، الذي وصف بقبلة الكتاب. خط المستعصمي عدة

مصاحف بقي منها اليوم سبعة هي محفوظة في متاحف تركيا وأوروبا. (عباس حمودة، 2000م، صفحة 110)

3.2 أنواع الأقلام:

أما الأقلام التي خط بها هؤلاء الخطاطون المصاحف فقد كثرت وتنوعت، ولعل أشهرها وأكثرها استعمالا: الكوفي، الطومار، الجليل، الريحان، الرياسي، الثلث، النسخ. (عبد الرحمن، 1997م، صفحة 71)

- **القلم الكوفي:** وهو أول الخطوط وأكثرها استعمالا. وقد تطور كثيرا عن صورته الأولى في القرن ألأول الهجري، وبلغ أوجه في التنوع في العصر العباسي حتى فاقت الخمسين نوعا. وكان يكتب بقطة قلم الطيب الفارسي الموحد الغرض، وهي صفة جلية في المصاحف الأولى في صدر الإسلام. (القلقشندي، 1383هـ، الصفحات ص ص 12- 35)

- **قلم الطومار**: نسبة إلى قطع الورق الذي خط فيه، وهو نصف أكبر قطع الورق الذي استخدمه العرب للكتابة ويسمى قطع الدرج. ووصفه ابن النديم بقوله: " أجل الأقلام الثقال يكتب به في طومار تام بسعفة وربما كتب بقلم". (ابن النديم، 1978م، صفحة 19). وذكر القلقشندي " أن خلفاء بني أمية كانت تكتب به علاماتهم، وكثيرا ما كتبت به مصاحف المدينة". (القلقشندي، 1383هـ، صفحة 52)

- **قلم الجليل**: أبو الأقلام، حيث تفرعت منه باقي الأقلام التي عرفت بعده. وكتب به الخلفاء رسائلهم إلى ملوك الأرض، وكتب به البعض المصاحف الكبيرة. وسمي الجليل لكبره وارتفاعه، و وصفه ابن النديم" أنه لقوته يدق صلب الكتاب به". (ابن النديم، 1978م، صفحة 17)

- **قلم الريحان:** حروفه مشابهة تعبيرات الريحان، فسمي بالخط الريحاني، ومنه اشتق الديواني، وأول من كتب به هو ابن البواب، وساد في كتابة المصاحف في أرجاء واسعة من العالم الإسلامي.

- **قلم الرياسي:** نسبة إلى لقب وزير المأمون (ذوالر ِياستين) الفضل بن سهل. و أوضح ابن النديم " أن يوسف الجري اخترع من قلم الجليل قلما أدق منه، وأجاد الكتابة به في المصاحف والرسائل، فأعجب به ذو الرياستين الفضل بن سهل وزير المأمون، وأمر أن تحرر الكتب السلطانية به، وسماه القلم الرياسي " . (ابن النديم، 1978م، صفحة 19)

- **قلم الثلث:** وهو خط مقور، قطة قلمه محرفة، وعرضه ثلث عرض قلم الطومار. ويأتي على نوعين: خفيف وثقيل.

- **قلم النسخ:** وسمي كذلك لأن الخطاطين اعتمدوه في نسخ المصاحف والكتب، وهو الخط الذي عرفت به المصاحف في العصور الإسلامية الوسطى في عصر الأتابكة السلاجقة، وازينت به الزخرفة في العمارة. (عباس حمودة، 2000م، صفحة 111)

4 انتقال الخط العربي إلى بلاد المغرب والأندلس:

4.1 بلاد المغرب:

حمل المسلمون الفاتحون لبلاد المغرب أو الشمال الإفريقي القرآن الكريم في صدور الحفاظ منهم، كما أدخل في المصاحف التي انتشرت في العهد الأموي، وكانت تلك المصاحف مكتوبة بالخط الحجازي اللين والخط الكوفي اليابس. واستقر هذا الخط وانتشر بعد تشييد مدينة القيروان عاصمة المغرب الأولى، حتى نسب إليها فيقال الخط القيرواني. (محمود بعيون، الرابعة، صفحة 112) إلا أنه شهد تطورا عن أصوله الأولى المشرقية، وسلك الخطاط المغربي طريقته في كتابته فاستقل بذاته، وأنشأ مدرسة في الخط، سميت بالمدرسة المغربية. (الحسن، 2003م، صفحة 273)

بلاد الأندلس:

وبعد الفتح الأندلسي دخل الخط المغربي إلى تلك البلاد، ثم أخذ يتطور بفعل العلاقات الثقافية بين الضفتين والرحلات العلمية، فظهر بالأندلس نوع مطور عن الخط المغربي، تميز عنه بالليونة وكثرة التدويرات، وإطالة نهاية الحروف، وتداخل الكلمات، عرف بالخط الأندلسي. قال ابن خلدون: " وتميز ملك الأندلس بالأمويين، فتميزوا بأحوالهم من الحضارة والصنائع والخطوط، فتميز صنف خطهم الأندلسي كما هو معروف الرسم بهذا العهد ". (بن خلدون، 1990م، صفحة 320)

وساد الخط الجديد في بلاد المغرب والأندلس في كتابة المصاحف حتى أواخر حكم الموحدين، وساعد على ذلك الهجرات المتواصلة للأندلسيين إلى المغرب. قال ابن خلدون: " وأما أهل الأندلس فانتشروا في الأقطار...، في عدوة المغرب وإفريقيا، وتعلقوا بأذيال الدولة، وغلب خطهم على الخط الإفريقي وعفا عليه، ونسي خط القيروان والمهدية ". (بن خلدون، 1990م، صفحة 321) وكان لشغف الأندلسيين وعناية الحكام الأمويين بالعلم والكتب دورا كبيرا في انتشار الخط الأندلسي، حيث أقبل الأندلسيون على شراء الكتب وعلى رأسها المصاحف بأغلى الأثمان، وكان بلاط الحكم المستنصر بالله خلية نحل أو مصنع لما جمع فيه من الوراقين والنساخين والمجلدين والمزخرفين. (مصطفى سعد، 2000م، الصفحات 37-40)

وكان الميدان الأول الذي مارس فيه الخطاطون براعتهم، وفجروا مواهبهم، هو كتابة المصاحف. فراح هؤلاء يخطونها بالخط الأندلسي، ويذهبونها ويزينون حروفها بأجمل التقويسات والمدود، ويطون رؤوسها

وذيولها بالأوراق والأزهار. وانتشرت المصاحف، وأقبل عليها أهل الأندلس يقتنونها، ويولون صيانتها وترميمها في تجليد بديع، ويحفظونها في صناديق خشبية مزينة. كما اعتنى الخلفاء بطباعة المصاحف بالقلم الأندلسي، وتجليدها وتزيينها، فقد جمع عبد المؤمن بن علي أمير الموحدين أمهر المجلدين والصناع؛ لصيانة أحد المصاحف العثمانية التي أهداها إياه أهل قرطبة. (محمود بعيون، الرابعة، الصفحات 150-151)

وقد عرف من خطاطي الأندلس الذين كتبوا بالقلم المصحفي الأندلسي الكثير منهم، حتى نقل أن في قرطبة الأندلس اشتهرت مائة وسبعون امرأة بكتابة المصاحف. كما عرف سليمان بن محمد المعروف بابن الشيخ القرطبي (ت 440 هـ) الذي خط مصاحف كثيرة، ومنهم أحمد بن عمر الشعري (ت 350 هـ) كان يكتب المصاحف وينقطها، وتنافس الناس على شرائها لصحتها وجمال خطها. وكذلك اشتهر محمد بن إسماعيل بن محمد المعروف بحبيش القرطبي الذي عرف بمهارته في كتابة المصاحف، حتى أنه كان يكتب المصحفين في جمعتين. وأبرز الكتاب في المائة السابعة، أوحد زمانه في كتابة المصاحف محمد بن عبد الله بن علي الأنصاري البلنسي (ت 610 هـ)، كتب ألف مصحفا، تسارع الملوك والوزراء والعامة عليها، وقد عاهد ألا يكتب إلا الحروف القرآنية. (بشكوال، 1374هـ، الصفحات 198-199)

5 مساهمة الفاطميين في تطور الخط العربي:

اهتم الفاطميون بالخط العربي اهتماما منقطع النظير، فقد كان سمة عمرانهم خاصة في قاهرة المعز لدين الله، حيث ازدانت بها قصور الخلفاء والمآذن وقبور العلماء، وزخرفت بها واجهات الحمامات والمكتبات. وابتدع الفاطميون خط الكوفي الفاطمي الذي حمل بصمتهم الخاصة بهم. قال الدكتور محمود: " ونافست الدولة الفاطمية في مصر دولة العباسيين في العراق في تجويد كل الخطوط التي اخترعت.....، واشتهر من كتابهم شمس الدين بن أبي رقية وشمس الدين بن علي الزفتاوي". (عباس حمودة، 2000م، صفحة 110). واخترعوا قلم الحبر السائل، الذي اعتبر اختراع العصر، يحمل خزانا صغيرا من الحبر ينتهي بريشة دقيقة، وهو المعروف اليوم. وانتشرت في مصر في هذا العهد الأقلام الرقيقة التي تبلغ ريشتها عشر السنتمتر، استعملوها في كتابة المصاحف الصغيرة التي تحمل في الجيب، وبعضها يعلق في الأعناق. (شوحان، 2001م، صفحة 55)

6 المدرسة التركية و أثرها في الخط العربي:

أخذ الأتراك بعد تأسيس خلافتهم في تخليد مآثرهم، فلم يجدوا أبقى من الزخرفة على العمران، والاهتمام بالكتب، وعلى رأسها المصاحف، فقد كانت الدولة العثمانية سنية المذهب، ولم يمنع ذلك من الاحتكاك بالمذاهب الأخرى، فنهل الأتراك مبادئ الخط وأصوله من الجارة إيران ذات المذهب الشيعي، حيث أبدعت مدرسة تبريز في صناعة الورق والكرتون، والزخرفة والتذهيب. وأشار الكردي " أن الأتراك استقلوا بمدرسة خاصة بهم عبروا من خلالها على الطابع التركي الذي يتميز بالألوان والتنوع. واشتهرت مدرسة

الأتراك بخط الثلث الرائع، فكتبت أناملهم مصاحف خالدة لا تزال تزين متاحف العالم خاصة التركية منها، وأقحم الخطاط التركي فن التجليد والتذهيب مما أضاف جمالا للمصاحف التركية ". (محمد طاهر، 1939م، صفحة 170)

كما ينسب للمدرسة التركية تقنية كتابة المصاحف الصغيرة التي تحمل حتى في الجيب الصغير. ولم يقتصر القلم المصحفي التركي على المصاحف، بل تعداها ليشمل جداريات المساجد والقصور حيث كتبت الآيات الكريمة في المحاريب والقبب التي اشتهرت بها المساجد التركية. وقال الكردي: " ومما يدل على اهتمام الأتراك بالقلم المصحفي وتعظيمهم له، أن قلد الخلفاء الأتراك الخطاطين أعلى الوزارات كما فعل العباسيون ذلك من قبلهم، وأغدقوا عليهم من العطايا والرواتب، ما لم تنله حتى الطبقة العسكرية منهم ". (محمد طاهر، 1939م، صفحة 171)

7 نوادر المصاحف التي كتبها الخطاطون:

إن كتب تراجم الخطاطين تزخر بالأخبار التي نقلت إلينا الإبداعات في كتابة المصاحف، ولكن منه ما هو مبالغ فيه، فتحاشينا ذكره، وأبقينا على ما يصح منه، مما يدل على اهتمام المسلمين بالقلم المصحفي، حتى في عصور ضعفهم وانحطاطهم.

كتب محمد روح الله اللاهوري مصحفين كل واحد منهما في ثلاثين ورقة، واتبع طريقة فذة عجيبة تذهل منها العقول، حيث التزم أن يبتدئ كل سطر من تلك المصاحف بكلمة أولها ألف. وقال الكردي: " وكتب علي محمد مصحفا في قطعة من الرق طولها سبعة أمتار وعرضها ثمانية سنتمترات بقلم الثلث محلى بالذهب، وأوائل سوره مكتوب بالمداد الأحمر. وكتب مصطفى بن محمد مصحفا في عشرة أوراق. وكتب عبد الرحمن بن الصائغ مصحفا في ستين يوما، طول الورقة أكثر من متر وعرضها نصف طولها، كل صحيفة بتسعة أسطر بقلم الثلث، ذهب أوائل سوره وآياته. (محمد طاهر، 1939م، صفحة 172)

إلى جانب الإبداع في كتابة المصاحف، فقد اشتهر بعضهم بكثرة كتابتها. قال الكردي " فقد كتب ابن البواب 64 مصحفا، وكتب الحسين بن علي المعروف بابن الخازن 500 مصحفا، ومحي الدين جلال 98 مصحفا، وإسحاق بن مرامر الكوفي 80 مصحفا، ومنقذ بن علي بن مقلد 70 مصحفا، وكتب الوزير ابن مقلة مصحفين، وحسن أفندي الجزائري 3 مصاحف". (محمد طاهر، 1939م، صفحة 173)

خاتمة:

مر الخط العربي الذي خط الوحي الخالد بمراحل عديدة، من صورته الرديئة الأولى التي ورثها عن الخط الجاهلي القديم، حيث كانت تعبر عن حالة لا حضارية والتي كان عليها العرب قبل الإسلام، ودليل ذلك عدم اهتمامهم بكل ما يمت للحضارة بصلة؛ نظرا لطبيعة معيشتهم التي استغنت على مثل هذه الوسائل، وعلى رأسها الخط الذي كان يمثل آنذاك قمة الرقي والتطور الأمي والحضاري. وبعد أخذ المسلمين بزمام الحضارة في عهودهم المختلفة، قفز الخط العربي بالدرجة الأولى دون سائر الأقلام الأخرى، قفزة غيرت ملامح هذا الخط، وأعطته مسارا جماليا فنيا بارعا بعدما كان يقتصر دوره على قضاء الحاجات المرجوة منه في شكل ردئ غير بالغ في الجودة والمظهر كما أبلغ في وصفه المؤرخ ابن خلدون. ويرجع ذلك لاهتمام الخلفاء والملوك والوزراء به، فقد أولوه جانبا بالغا من الأهمية؛ لأنهم كانوا يرون فيه مجدهم وسلطانهم؛ كيف لا ورسائلهم إلى ملوك العالم تكتب به؛ وتخط بأسمائهم المسكوكات، وعلى رايات الحروب شعار دولتهم. فالقلم المصحفي وهو بداية الخط العربي تصور وتلون بألوان تلك الحضارات التي تعاقبت عليه، فلا وجه شبه بين الخط الأول في صدر الإسلام الذي لا يكاد يقرؤه إلا ذو مراس ومدقق ومعرفة بالشكل والنقط، وبين الخط العربي المتطور في يومنا.

الملاحق:

www.el fajr.org

المصحف الإمام لعثمان بن عفان

مصحف بخط زيد بن ثابت

مصاحف من العهد العباسي (عبد الرحمن،تحفة أولي الألباب ص ص 28 - 72)

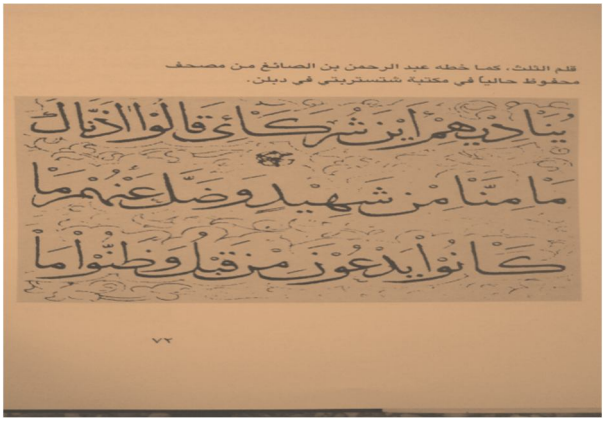

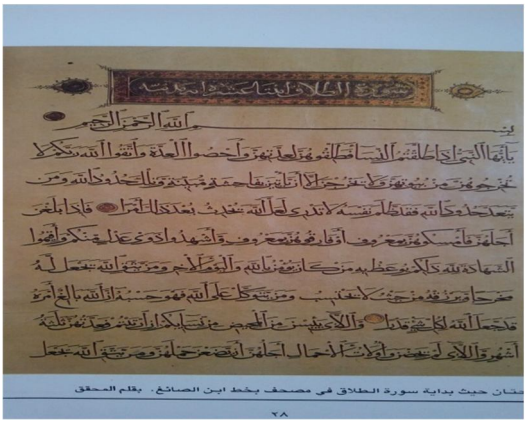

خط ابن الصائغ بقلم المحقق

خط ابن الصائغ بقلم الثلث

مقطات للبري و أقلام (عبد الرحمن، تحفة أولي الألباب في صناعة الخط والكتاب، ص ص 109- 110)

مقلمات لحفظ الأقلام (عبد الرحمن، تحفة أولي الألباب في صناعة الخط والكتاب ، ص 105)

قائمة المصادر والمراجع:

1) إبراهيم جمعة. (1947م). قصة الكتابة العربية. القاهرة، مصر: دار المعارف للطباعة والنشر.
2) ابن الصائغ عبد الرحمن. (1997م). تحفة أولي الألباب في صناعة الخط والكتاب (الإصدار ط 1). بيروت، لبنان: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.
3) أبو حيان التوحيدي. (ب ت). رسالة في علم الكتابة.
4) أحمد ابن النديم. (1978م). الفهرست. القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى.
5) أحمد القلقشندي. (1383هـ). صبح الإعشى في صناعة الإنشا. (3) . القاهرة: دار الكتب العربية.
6) أحمد شوحان. (2001م). رحلة الخط العربي من المسند إلى الحديث. منشورات اتحاد كتاب العرب .
7) الكردي محمد طاهر. (1939م). تاريخ الخط العربي وآدابه. القاهرة: المطبعة التجارية الحديثة.
8) اللبيب عبد الغني. (2009م). الدرة الصقيلة في شرح أبيات العقيلة. (عبد العلي آيت زعبول، المترجمون) قطر: إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
9) النحاس أحمد. (1990م). صناعة الكتاب. بيروت: دار العلوم العربية.
10) بن عثمان الداني عثمان. (2009م). المقنع في هجاء مصاحف الأمصار. (أوتوبزيل، المترجمون) بيروت: المعهد الألماني للأبحاث الشرقية.
11) حمودي القيسي نوري. (1986م). مدرسة الخط العراقية من ابن مقلة إلى هاشم البغدادي. المورد ، المجلد 15 (العدد الرابع).
12) خلف الله ابن بشكوال. (1374هـ). الصلة في تاريخ أئمة الأندلس. (عزت العطار، المترجمون) نشر الثقافة الإسلامية.
13) سامية مصطفى سعد. (2000م). الوراقة والوراقون بالأندلس. عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية .
14) سهى محمود بعيون. (الرابعة). كتابة المصاحف في الأندلس. مجلة البحوث والدراسات القرآنية (7).
15) صالح بن إبراهيم الحسن. (2003م). الكتابة العربية من النقوش إلى الكتاب المخطوط. السعودية: دار الفيصل الثقافية.
16) عادل الألوسي. (2008م). الخط العربي نشأته وتطوره (الإصدار ط 1). القاهرة، مصر: مكتبة الدار العربية للكتاب.
17) عبد الرحمن بن خلدون. (1990م). المقدمة. بيروت: مكتبة لبنان.
18) محمود عباس حمودة. (2000م). تطور الكتابة الخطية العربية (دراسة لأنواع الخطوط واستخدامها). المنصورة، مصر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع.
19) ناجي زين الدين. (1972م). بدائع الخط العربي. بغداد: وزراة الإعلام، مديرية الثقافة العامة.
20) ياسين جبوري سهيلة. (1962م). الخط العربي وتطوره في العصور العباسية في العراق (المجلد 15). بغداد: منشورات المكتبة الأهلية - مكتبة الزهراء.